" سوف يضطر شعبنا المزيد من الجهد
يستغل من السنوات القادمة ، استغلالا كاملا ،
كل قطرة من الماء تسقط على الأرض .. "

لفتننت جنرال ف . ايتشيسون
كبير المهندسين بجيش الولايات المتحدة سابقا

انطباعات عربية

في كثير من بلاد العالم لعبت الأفلام الأمريكية دورا كبيرا في رسم صورة للمجتمع الأمريكي في أذهان الناس.

واستطاعت أفلام رعاة البقر، والشجيع، والمغامرات البوليسية أن تثير خيال الملايين في الشباب على اختلاف جنسياتهم وأهوائهم.

واقترنت الولايات المتحدة في أذهان الناس بهذه الأفلام، وتصورا أنها تمثل واقع الحياة الأمريكية، دون النظر إلى ما يدخل فيها من عناصر الإثارة.. والتجارة.. والفن.

وكنت - كغيري من أبناء الأمة العربية - أسير هذا الخيال، وأود كانت معلوماتي عن الولايات المتحدة يدخل في تكوينها عنصر جديد آخر هو دراستي للتاريخ الأمريكي، وعلى وجه الخصوص.. حرب التحرير..

ولقد أتاحت لي حياتي العملية أن أتصل بعدد كبير من الأمريكيين الوافدين إلى بلادنا، سواء من الصحفيين ورجال الإعلام، أو من المواطنين الأمريكيين الذين وفدوا لزيارة السد العالي، خلال الأعوام الأربعة التي توليت مسئولية العلاقات العامة فيه.

والحقيقة أنه لولا الأفلام الأمريكية، ولولا دراستي التاريخ الأمريكي، ولولا حتى الآلاف من المواطنين الأمريكيين الذين التقيت بهم، لقد استطاعت أن تعمل لي أيا ما كانها ~~أصدر~~ على هداه ~~[illegible]~~ حكمي على هذا الشعب، وأسلوب حياته وتفكيره..

فالأفلام رسمت صورة لمجتمع تسيطر عليه أساليب الجريمة،

وتسوده قوانين الغاب ، القوة فيه للأقوى .. الأقوى بماله ، أو نفوذه أو سرعته في الملاءمة الثار ..

ودراسة التاريخ الأمريكي قد رسمت في خيالي صورة المجتمع أراد أن يبني حياته وطمأنينته بعيدا عن أساليب القهر والإضطهاد التي سيطرت على أوربا في العصور الماضية ، إلى أن وقع - كغيره من الشعوب الحديثة - تحت سيطرة استعمار لا يرحم ، هدفه الأول أن يسلب الثروات التي اكتشف الشعب الأمريكي على أرضه الجديدة ، بأي ~~شيء~~ ثمن حتى ولو كان الحرب وسفك الدماء .

ويروي التاريخ الأمريكي ، كيف استطاع هذا الشعب الجديد بإصراره وصلابته ، أن ينتزع حريته من المستعمر ، ثم يمضي في طريقه لبناء واحدة من أكبر دول العالم .. وأغناها ..

ثم جاء لقائي بالعديد من أبناء الشعب الأمريكي ليهز كل هذه الأفكار التي امتلأ بها خيالي هذا عنيفا ، بحيث أصبحت - بعد لقاء كل واحد من هؤلاء الأمريكيين - أرى فيهم رأيا جديدا يختلف عن الرأي السابق .. بل وكثيرا ما يتناقض معه .

ولست أظلم أمة شعبا من الشعوب ، لكنه أمر يضم بعيد أبنائه من مختلف ثقافاتهم ، ولغاتهم ، وآدابهم ، كما يضم الشعب الأمريكي ..

وربما كان مرجع ذلك إلى أن الشعب الأمريكي قد تكون من أشتات شعوب كثيرة ، جمع بينها الألم .. والأمل ، وجمعه بينها رصيد ضخم من الخبرات .. والتقاليد .. وأساليب الحياة .

ثم جاءتني دعوة كريمة من الحكومة الأمريكية ، لزيارة الولايات المتحدة

لمدة أربعة شهور من أبريل ، [illegible]

أزور خلالها السدود الكبرى ، ومشروعات الزراعة والري والكهرباء ،

من أعالي منابعه حتى ولاياته الجنوبية ، وبعد هذا كله كانت

لي الحرية في أن أذهب إلى أي مكان أريد ، [illegible]

وأرى أي شيء أشاء ، ولو لم تكن تخص السدود .. أو محطات الكهرباء ..

ولم أتردد في قبول هذه الدعوة الكريمة ، إيمانا مني

بالمثل القديم الذي يقول أسمع رأي ليس كمثله سمع ..!!

ولست أدعي أنني خلال تلك الزيارة ، أو من

بين سطور هذا الكتاب أحاول أن أعيد حكما على الشعب

الأمريكي ، أو أن أخرج بما لم يخرج به أحد قبلي ، فأنا

أعلم أن الملايين قد سبقتني إلى العالم الجديد ، وأن

الآلاف من الكتاب - قبلي - قد استعرضتهم التجربة الأمريكية

فكتبوا عنها من جميع نواحيها ، خصوصا بعد أن تطورت

وسائل الإعلام في عالمنا الحديث ، بحيث أصبحت موسكو

تعلم بعد دقائق معدودة ما يجري في واشنطن ، وأصبحت

طوكيو تسمع على موجات الأثير ما [illegible] يقال في نيويورك

ساعة إذاعته ، لا تفصلها عنه سوى فارق التوقيت ،

وبضع آلاف من الأميال ...!!

لذلك فقد وضعت لنفسي - منذ اللحظة الأولى - هدفا

محددا لهذه الزيارة ، [illegible] سعيت إلى استطلاعه .

فأنا أولا ذاهب لزيارة السدود ، ومشروعات الزراعة والري والكهرباء ، وبالتالي دراسة أنظمة العلاقات العامة في هذه المنشآت خصوصا وأنه "علم العلاقات العامة" يكاد يكون علما أمريكيا ، أو على الأقل كانت الولايات المتحدة هي أصب ميدان طبق فيه علم العلاقات العامة ، ووضع تحت التجربة الواسعة.

وأنا ذاهب بعد ذلك لأرى ~~[illegible]~~ كيف يا ترى يقف الشعب الأمريكي من القضية الأولى في العالم العربي .. وهي قضية فلسطين ..

ثم أنا ذاهب بعد هذا كله لأبحث عن أمانة الكلمة التي يمكن أن تقوم بين يدي ، وبين واحدة من أكبر دول العالم بما لها من قوة .. وعزة .. في العلاقات الدولية ..

~~[illegible]~~ أريد أن اعرف .. وبكل وضوح :

فيما نختلف ..؟

وعلى ماذا نتفق ..؟

وبين هذا ، وذاك .. أين نلتقي ..؟

وأبادر على الفور فأقول أن هذا البيت هو اجتهاد شخصي - لم يكلفني به أحد ، ولم يطلبه مني أحد ، وإنما هي مجرد محاولة لإيجاد إجابات للأسئلة الحائرة على شفتي في كل مرة أرى فيها العلاقات العربية - الأمريكية تقف على حافة هاوية سحيقة من الخلاف ، وعدم الثقة ..

لذلك، كانت هذه الأهداف الثلاثة هي الدافع لكل ما قلت، وسمعت، ورأيت، على أرض الولايات المتحدة الأمريكية، خلال شهور أربعة، أمضيتها بمعظم الولايات الأمريكية، ~~[illegible]~~ بما فيها مدينة ~~[illegible]~~ وفيها المدينة الكبرى الطلية بالحياة والحركة كنيويورك وسان فرنسسكو، والقرى المتناثرة على أطراف الأرض من نيوهامبشر، وفرمونت وأكوتا..

وتحدثت خلالها إلى عدد لا يحصى له من المواطنين الأمريكيين على كافة المستويات، من أعضاء مجلس الشيوخ، إلى زراع الذرة ورعاة البقر..

واستمعت ~~[illegible]~~ هذا كله إلى آراء بعضها صريح، وبعضها غامض، جرت على أفواه الآلاف من تلاميذ، من أول سائق التاكسي في مدينة بوسطن، إلى زعماء اليهود الأمريكيين في سياتل وتكل رول ~~[illegible]~~..

ولست أستطيع بعد هذا كله أن أقول أني الصورة قد اكتملت، وأصبح الحكم سهلا واضحا، ولكني أريد بإجابات أن أقول أنني خرجت من هذا كله ~~[illegible]~~ ببعض الأشياء التي تجري - على شفتي - بين الحين والآخر، وبإجابات عربية، وأتحدث عنها عربية، وسمعها أو قرأها عربية، وتركت بعض بصماتها على قلب عمر..

وهذه الانطباعات - وبعضها - هي موضوع هذا الكتاب -

رحلة المفاجآت

الرحلة من القاهرة إلى الولايات المتحدة ، قد أصبحت تقطع الطائرات النفاثة الحديثة في بضع ساعات ، ولكنه الجزء الأهم والمثير من هذه الرحلة - لا يزال - هو الجزء الذي يقضيه الإنسان معلقا وسط السحاب فيما بين الشاطئ الأوربي ، والشاطئ الأمريكي للمحيط الأطلسي . وهي مسافة تقطعها الطائرة الضخمة من طراز بوينج ٧٠٧ في حوالي سبع ساعات .

كانت الطائرة تقف شامخة على أرض مطار القاهرة ، عندما انبعث الدفء مع بقية الركاب ذات صباح من شهر فبراير عام ١٩٦٦ . وما أن وضعت أقدامي على سلم الطائرة حتى تسللت إلى أسماعي أنغام الموسيقى الخفيفة تعزف من داخل الطائرة ، لكأنها كانت الإنسان على أعتاب أحد الملاهي الليلية حيث يرقص الرواد مع الأنغام الحالمة .

وما هي إلا لحظات حتى أغلقت أبواب الطائرة ، وتوقفت الموسيقى ، وبدأ صوت المحركات يتعالى فيما يشبه شهقات ~~ظامئ~~ من كأس خمر ..

وفي لحظة كانت الطائرة قد عبرت المدينة بالقاهرة وشاطئ البحر الأبيض المتوسط ، وانطلقت تسبح بين السحب البيضاء المتفرقة ، التي تكسو ظلالها على ~~صفحة~~ البحر الصافية ، التي ~~لا يخدشها~~ خلت إلا من موجات متفرقة ، أو سفينة تضرب بين الحين والآخر صفحة الماء في طريقها إلى مرفأ ترسو عنده .

وانطلقت مكبرات الصوت - بدك الموسيقى الخفيفة - صوت
قائد الطائرة ببيانات التهيئة للركاب ، ثم استمر بعدها في القاء
محاضرة طويلة عن الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها الطائرة ، ووسائل
النجاة المعدة لذلك ، والمضيفات الحسناوات واقفات في الممرات
التي تفصل بين المقاعد ، حاملات نماذج من أطواق النجاة
وأنابيب الأكسجين ، تشرحه بحركات معبرة ما يقوله
قائد الطائرة بدقته ، وكأننا في صرح للفرائس تتحرك في الدمى
المعلقة في خيوط على كلمات ، ونغمات ، لا تجري على
السنتها .

والإحتياط للطوارئ واجب على كل حال ، ولكن الحديث
عن الهبوط الإضطراري ، والأزمات القلبية ،
وأنت معلق بين الأرض والسماء ، يهيئ للراكب جوا يختلف تماما عن
الجو الذي هيأته له المضيفة الحسناء منذ دقائق معدودة ..!!

وانتهى حديث قائد الطائرة ، وانصرفت المضيفات الحسناوات
إلى عملهن الأصيل ، وبدأن يوزعن الأطعمة والأشربة على الركاب ،
الذين نسوا ما سمعوه عن الأخطار والمتاعب ، وبدأوا ينشغلون
فيما بين أيديهم من طعام وشراب ، وهكذا الإنسان ، يعيش
ليأكل ، ويأكل ليعيش ..!!

ومن مطار روما توقفت الطائرة لتتزود بالوقود ، وأعلنت
المضيفات عن ساعة ليضيع الركاب في صالات مطار روما يشاهدون

- ويشترون في بعض الأحيان - بعض ما تعرضه المحلات الصغيرة المنتشرة داخل المطار من السلع والتذكارات ، مما تشتهر به الصناعة الإيطالية .

وعاد الركاب إلى أماكنهم ، وربطوا الأحزمة حول أجسامهم ، وأغلقت أبواب الطائرة ، ولكنها تحركت لم تدر .. !!

وتطلع الجالسون بعضهم إلى بعض ، وعلى وجوههم يرتسم السؤال عن أسباب التأخير ، وقد بدأ الملل يتسلل إليهم إلى أن أعلن صوت قائد الطائرة ، أننا في انتظار راكب هام سوف ينضم إلينا في رحلتنا إلى جنيف ، دون أن يفصح عن اسم هذا الراكب ، أو أسباب تأخره .

ولم يمض وقت طويل حتى عادت أبواب الطائرة تنفتح من جديد ، ليصعد الراكب المنتظر إليها ، تتطلعه الألسنة في وقت واحد - خصوصا ألسنة الركاب الأمريكيين - لتقول في نفس واحد : جاكي .. إنه جاكي ..

كان الراكب المنتظر هو جاكلين كينيدي ، أرملة الرئيس الأمريكي الراحل ، وهي في طريقها من روما - حيث قضت منذ أيام قليلة تداعب البابا - إلى جبال سويسرا التي تفضل الثلوج قضاء في هذا الفصل من العام ، لتمارس رياضة المفضلة في التزحلق على الجليد .

ولست أدري - حتى الآن - كيف تستطيع هذه السيدة الشابة ، بإرتباطها الخيوله ، وتطرفها الفائق ، أن تشيع المرح والبهجة من حولها ، دون أن تقول كلمة واحدة ، أو تصدر

عظيم إشاره ..!!

ولكنه الذى اعلمه جيدا ، أنه بعد صعود جاكلين كينيدى إلى الطائره ، ومنذ أن اقلعت الركاب لم يلتقى بالا طاقم كامل يجرى فى ممر العرائس داخل الطائره ، عندما اعادت المضيفات تشكيل صفوفهن الصامته ، بل اتجهت كل العيون إلى راكب واحد ، تعلق عليه كل حركه .. وكل لفته .. وكل نسمة ، وكان هذا الراكب هو جاكلين كينيدى ..

حتى قائد الطائره ترك محاضرته المعاده ، وظل يروى ما [redacted] نقلته اليه اجهزه اللاسلكى عن صفاء الجو فى جينيف ، وما سجلته امامه اجهزه الطائره من السرعة ، والإرتفاع ، والوقت المقدر للوصول . وبدا قائد الطائره وكأنه يوجه حديثه إلى راكب واحد من بين ركاب الطائره جميعا ، هو هذه السيدة الباسمه التى ينسدل شعرها ليغطى جانبا من وجهها كحجاب [redacted] ينسدل على وجه عذراء ليلة زفاف .

وإنتهى قائد الطائره وراء حديثه ، كل ما يرجوه منه أن يستلفت انتباه جاكلين ، وأن يملأ لها الوقت [redacted] الذى تقضيه فى ضيافته ، [redacted] الى أن بلغت الطائره مشارف مطار جينيف .

وفى هذه اللحظه انطلقت المفاجأه التى لم تكن فى حساب ركاب الطائره ، فقد عاد صوت القائد يشير علينا بأن ننظر إلى يسار الطائره [redacted] لنرى قمة جبل "مونت بلانك" - اعلى

جبال امريكا - تغطيه الثلوج البيضاء ، كما تغطى رأس عجوز نازع الأعوام .

فالذى لم يحب قائد الطائرة حبه ، أو ركابه جميعا - وعلى اختلاف جنسياتهم - كانوا قد قرأوا عن حادث الطائرة المنكوبه - منذ قفت طائرته - التى سقطت على سفح هذا الجبل قبل ساعات قليله من رحلتهم هذه ..

وما أن هبطت على ظهر المطار الطائر ، أو يذكرون انه بكارثه جويه ، لم تمضى عليها ساعات ، حتى ولو كان ذلك من أجل عيون جاكلين ..!!

* * *

انتهت فى جنيف رحلتنا مع جاكلين ، أو رحلة جاكلين معنا ، وانطلقنا إلى لندن حيث يبدأ الجانب الأهم والمثير من المهمه التى تقطع إلى الولايات المتحده ، وهى الجزء الذى تقطعه الطائره بنا معلقه بين السحب ، فيما بين الشاطئ الاوربى ، والشاطئ الأمريكى للمحيط الأطلسى .

والحقيقه أن هذا الجزء من الرحله ، كان امتع ما فيها ، على الرغم من أن رفيقتنا الحسناء قد تركتنا فى منتصفها لتمارس رياضتها المفضله ، فى الثلج جلد على الجليد ، فوق سفوح الجبال فى سويسرا ، التى تغطيها الثلوج البيضاء وتلمع عليها اشعة شمس وادعه .

وقد كنت اتصور أن الملل سوف يتسرب إلى نفسى

خلال الساعات السبع التي أقضيها في مقعدي ، ليس لي
أنيس سوى كتاب أعلب صفحاته ، وبضع مجلات
أتطلع إلى سطورها بين الحين والآخر .

وتذكرت أحد أقاربي ، وكان قد سافر إلى
الولايات المتحدة منذ سنوات قليلة ، وبدأ الأمر يهون
من نظري وأنا أذكر أنه قد قطع نفس المسافة في ثمانية
عشرة ساعة جالسا على مقعده بين النوم والملل ، حتى
وصل إلى الشاطئ الأمريكي ..

وسرح خيالي مع العلم الحديث الذي لا يتوقف عند
التطور ، والذي استطاع خلال بضع سنوات أن يختصر المسافة
التي تقطعها الطائرة فوق المحيط من ~~ثمانية~~ عشرة ساعة سبع
ساعات ، أراها أنا طويلة جدا ..!!

وقد يدري فربما بعد بضع ~~سنوات~~ سنوات أخرى
- وقد أصبح هذا قريب الاحتمال - يستطيع العلم أن يختصر
المسافة إلى ساعة واحدة ، وعندها سيجلس غيري
على مقعدي شاكيا من ضياع الوقت وطول الملل ..!!

ولكنني اعترف أن الشركة الناقلة - الخطوط الجوية
العالمية - قد استطاعت أن تجعل من الساعات السبع
فترة ممتعة بما قدمته لنا من خلال من الوانه الطعام والشراب ،
وبما هيأته من وسائل المتعة والترفيه .

كما أن أنهى موعد العشاء ، حتى أسدلت الستائر

على نوافذ الطائرة ، واطفئت اضواء المقصورة ، وعلقت امامنا شاشة بيضاء سلطت عليها آلات العرض السينمائي لتعرض علينا فيلما ملونا استغرقه وحده ساعة ونصف الساعة .

وفي يد كل منا سماعة يثبتها على اذنيه ، وإلى جانبه أزرار يحركها ، فتنساب إلى اذنيه انغام من سبع محطات مختلفة تذيع كل واحدة منها - وباستمرار - لونا مختلفا من الموسيقى والأغاني ، من اول موسيقى الجاز الأمريكي ، إلى آخر سيمفونيات بتهوفن ، وكشكشتو مؤدار ..

واستسلم الركاب - واحدا وراء الآخر - إلى سنة من نوم إستيقظ بعدها ليجد أمامه وجبة طعام جديدة ضربت لقوتها من افراد الطائرة الأنيقة .

وعلى الرغم من أن الرحلة قد بدأت من لندن عند منتصف الليل ، إلا أنه موعد وصولنا إلى مطار نيويورك كان ايضا منتصف الليل ، فالبيه الشاطئ الانجليزي ، والامريكي ، فارقنا في التوقيت بقدر نحو ست ساعات .

* * *

ومع الإنخفاض المتتابع للطائرة فوق مطار نيويورك ، بدأت اضواء المدينة الكبيرة ترتسم امام عيوننا من نوافذ الطائرة - فيرى من خلالها المسافر إلى الولايات المتحدة لأول مرة مثلي - ناطحات السحاب تشعل بأضوائها ظلام السماء كأعمدة من

النور مزروعة وسط السواد .

و إستقبلنا مطار نيويورك ، الذى لا يعرف الليل من النهار ، لكثرة ما يهبط فيه ، وما يقلع منه من المئات تحمل إليه فى اى لحظة ، وفى كل لحظة ، الآلاف من القادمين الجدد ، والآلاف غيرهم من المستقبلين .. والمودعين .

هذه إذن نيويورك الشهيرة بتمثال الحرية الرابض فى مدخل ميناءها على هيئة سيدة تحمل فى يدها شعلة لا تخبو نورها ، رمزا للمعانى التى كافح من اجلها الرواد الأوائل الذين جاءوا إلى هذه الأرض المقفرة هربا من الإضطهاد الذى ساد اوربا بكل اشكاله السياسية ، والإجتماعية كما الدينية ..

هذه إذن نيويورك التى تستضيف على أرضها هيئة الأمم المتحدة ، بكل ما تمثله - او المفروض أن تمثله - من الآمال لملايين البشر ، ممن سئموا الحروب ، وتطلعوا إلى عالم تسود فيه حقوق الإنسان ..

~~وكذلك لا يمكن أن يتم الصلح~~

وهذه إذن نيويورك التى يعيش فيها وحدها ثلاثة ملايين من اليهود ، يمثلون ثلث عدد سكانها ، ويصلون إلى ما يقرب من نصف سكان اسرائيل تقريبا ..

ولكنه للأسف ، ليس هذا وقت زيارة نيويورك ، فموعد ذلك يأتي في نهاية رحلتي إلى الولايات المتحدة ، وإنما يجب أن نبدأ الرحلة من واشنطن .. فأنا صيف على الكونجرس الأمريكي .. وواشنطن هي العاصمة ، فمنها سنبدأ الزيارة ، وفيما سوف يوضع برنامج مجزأ .

* * *

الساعات الطويلة التي امضيتها سافرا من القاهرة إلى نيويورك كانت في جانب ، ورحلتي من نيويورك إلى واشنطن في جانب آخر ..

وعلى الرغم من أن المسافة بينما بين المدينتين لا تستغرق من الطائرة العادية ذات المحركات الأربعة ، أكثر من نصف ساعة ، إلا أنها كانت بالنسبة لي فوق ما يستطيع أن يذهب إليه خيالي .

فبعد استراحة قصيرة في مطار نيويورك - الذي بالمكيفات والأزرار - وبعد أن تم نقل حقائب المسافرين إلى الطائرات الكبيرة للخطوط الداخلية ، التي سوف تحملهم إلى أماكنهم متفرقة داخل الولايات المتحدة ، اعلنت مكبرات الصوت عن قرب إقلاع طائرتي المتجهة إلى واشنطن .

كان الليل قد انتصف ، ونسمات الهواء البارد تلفح وجوه المسافرين المتجهين إلى الطائرة الجاثمة على أرض المطار ،

بينما رذاذ خفيف من المطر يتساقط فوق رؤوسهم .

وكان المسافرون من على نقف الطائرة لا يكادون أن يزيدوا على عدد أصابع اليدين ، بعضهم جاء من هذا وراء المحيط ، وبعضهم قد انضم إلينا في مطار بيونيوركل .

وما أن دخلت مقصورة الطائرة ، حتى ألقيت رأسي على المقعد الذي أجلس عليه ، واستلمت لاسترخاء حلوة بعد ساعات السفر الطويل .

وارت المحركات ، وانطلقت الطائرة تسير في تباطؤ على ممرات أرض المطار لتتخذ لنفسها مكانا تنطلق منه إلى السماء في طريقها إلى مدينة واشنطن ، عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية .

ولعل الإرهاق الذي كنت أشعر به في بادئ الأمر لم يجعلني أنتبه إلى أن الطائرة لا زالت تدور ~~[illegible]~~ داخل المطار دون أن تغادره عجلاتها أرضه ، ثم مضى أكثر من ربع الساعة وهم جالسون في مقاعدنا ، والأجزمة المثبتة فوق هذه المقاعد تلف أجسامنا .

وتكرر رأية غريبة قد تسللت إلى أذهن بحيث تغلبت على الإرهاق الذي كنت أعانيه ، وتبينت فيما رأيته وجود الطائرات ..

ولم يكن هذا المألوف لي - وقد سافرت على الطائرات

أكثر مما سافرت من حياتي بوسائل المواصلات الأخرى ،
أنعم رائحة الوقود داخل المقصورة التي تمتاز نوافذ
سكنة الغلق جميعها على تكثيف الضغط الجوي داخل
كل طائرات الركاب الحديثة .

وفكرت لبضع لحظات أن أسأل مضيفة الطائرة
عن سبب هذه الرائحة التي لا أرتاح إليها ، خصوصا وأن الطائرة
كانت لا زالت تتلوى على أرض المطار كحية متحفزة بقربة
تملأ جوفها .

ولكنني عدت أقول لنفسي انه ليس من المعقول أن
الكون وحدي - ودون ركاب الطائرة جميعا بما فيهم قائدها - الذي أتميز
بحاسة الشم التي تؤهلني إلى أن استجوب وأناقش ،
بينما الجميع من حولي يسلمون إلى مقاعدهم في هدوء ..!!

ولكن الأمر قد اصبح فوق ما يحتمله تقاضي وتصوري
لحاسة من اهم حواسي الخمس ، وهي حاسة الشم ، عندما
انضمت إليها حاسة أخرى ، هي حاسة النظر ، تنبئني
بوجود شعلة من لهب تتصاعد في سرعة مذهلة من أحد
محركات الطائرة ، التي كنت اجلس بجانبها ولا افصلني
عنها سوى شبال زجاجي سميك ، تلمع النيران من ورائه
بينما تداعب نسمات ليلة الشتاء الباردة .

وعندما هرعت المضيفات إلى فتح باب الطائرة ،
وطلب الينا قائدها - من خلال مكبرات الصوت - أن نبدأ

على الفور ، ولو قفزنا من النوافذ ، لأن النار قد
اشتعلت في أحد محركاتها ، في هذه اللحظة قفز الجنود
أمام حواسي قد سيطرتهم ، وعرفت أن رائحة الوقود التي تسللت
إلى أنفي ، كانت بالفعل مقدمة لهذا الحريق الذي قفز إليه
قائد الطائرة قبل أن يستقبل أمره ، وقبل أن تأخذ الطائرة
طريقها إلى مرتفعات الجو العليا ، حيث يخف الضغط ،
وتزيد نسبة الأكسجين في الهواء ، وتسبح الكارثة أسرع
مما تقدر لها أي حساب .

ولم يكن أمام باب الطائرة درج نزيط عليه ، فقد
كنا وسط سماء المطار ، فأخذنا نقفز من الباب
المفتوح واحدا وراء الآخر ، وكأننا طلاب في مدرسة
الطيران نتلقى أول دروسنا العملية ...!!

وأسرعت سيارات الإطفاء نحو الطائرة ، وجرى
موظفو الشركة وعمالها يخرجون حقائبنا من بطنها ، ويطمئنوننا
إلى أن طائرة أخرى متجهة إلى واشنطن سوف تقلع خلال
نصف ساعة ، ويطلبون منا أن نسرع كي تلحق الطائرة الأخرى
قبل أن يحين الموعد المحدد لإقلاعها .

وبعد زوال الخطر المباشر ، أسرعنا نحو طائرتنا
الموعودة ، وبعد ورائنا عربة يدفعها عمال الشركة ، عليها كل
أمتعتنا التي كانت في جوف الطائرة الأولى .

ولم تمض لحظات حتى كانت المحركات تدور ، والطائرة تنطلق في طريقها ، وهي تضم بين ركابها أناساً قد نجوا لتوهم من هلاك محقق ..

وقطعت الطائرة أكثر من نصف الوقت المقدر لوصولها ، وكانت أثناءها مضيفات الطائرة تتفقدن من الركاب أمورهم تماماً كما يحدث في سيارات الأوتوبيس وعربات الترام ، فإذا هذا الخط الجوي شبيه بأوتوبيس أو ترام تقطع إحدى طائراته الرحلة كل نصف ساعة بانتظام ، وليس هناك داعٍ لحجز الأماكن وشراء التذاكر مقدماً ، ما دام الخط منتظماً ، والأماكن متوفرة ، ومن أغلقت منه طائرة فما عليه إلا أن ينتظر نصف ساعة أخرى ليركب الطائرة التالية ، وهناك - أو هكذا رجلته - يدفع الثمن ، ويحصل على التذكرة ، فنحن في أمريكا ، وفي عصر تحول فيه ركوب الطائرات إلى ما يشبه ركوب سيارات الأجرة تماماً ..!!

وكأنما شاء القدر أن يسخر منا مرة أخرى ، وقبل أن يعطينا الفرصة لنلتقط أنفاسنا ، فإذا فكبات الصوت تحمل إلينا من جديد صوت قائد الطائرة ، وهو قائد آخر غير الذي كان يحاول تسلية جاكلين كيندي ، وغير الذي نزلنا بإندلاع النيران ..

وفي هذه المرة يقرع الرجل ناقوس خطر جديد ، ولكنه يقرعه هذه المرة ايضا برقة وذوق فيقول :

- سيداتي .. سادتي .. مساء الخير .. هذا صوتكم قائد الطائرة يتحدث اليكم .. انا قائد الطائرة - اي طائرة - نقلب نفسه دائما صديقا لكل ركابه ، حتى واحد كامل لم يلتقي بهم من قبل ..

[redacted]

و إستنادا إلى هذه الصداقة ، فإنني أردت أن اطلعكم على ما أعانيه الآن .. !! وانا أطمئن نورا اخضر لازال مضيئا منذ إقلاعنا ، ومضاء أمام محولات الطائرة فهي لا تريد أن تنزل رغم ما أبذله من محاولات متعددة .. !!

واستطرد الرجل في لهجة امل ربه وذوقه يقول :

- ولكنه الأمر ليس بالخطورة التي تتصورونه ، كل ما هنالك أننا قد نهبط - بدون عجلات - هبوطا إضطراريا ..

على كل حال لقد اتصلت لاسلكيا بالشركة المالكة للطائرة ، وأطلعتهم حالتي واشخصت على حقيقة الموقف ، وقد وصلتهم رسالتي ، وأبلغوني أن كل شئ معد في مطار واشنطن .. عربات الإسعاف ، والمطافئ .. !!

ولكنه الأمر لن يكون خطيرا ، فإن الطائرة عندما تهبط بدون عجلات ، قد تتعرض لإختلال التوازن ، لذلك

فإنني أطلب إليكم البقاء في أماكنكم إلى حين إتمام الهبوط، وعندها فقط تستطيعون أن تغادروا الطائرة في سلام، وأنا أناشدكم أن لا تتجمعوا من ناحية واحدة من الطائرة، فإن هذا قد يزيد الأمر تعقيدا..

ونظر الركاب إلى بعضهم البعض، وخيم الوجوم على وجوههم وكأنهم جميعا من الفداء أغلقت عليهم أبواب الحياة..!!

وعاد قائد الطائرة إلى حديثه:

- إنني لم أطلعكم على حقيقة الأمر، إلا لأنني أعتبركم أصدقاء لي كما سبق أن ذكرت لكم، ولكنني لا أريد أن تكون مجاملتي - هذه - مصدر قلق لكم...

ومضت الدقائق الباقية طويلة، قاتمة، كأن كل ثانية منها تئن محموم أنهكه المرض، وطالت نظرات الواحد منا للآخر، كأننا شركاء في جنازة مباغتة.

ومع كل لحظة تمضي، كانت أضواء مطار واشنطن تقترب منا بعيد، ولكن هذه الأضواء كانت تحمل إلينا كلما اقتربت طلائع الكارثة المنتظرة..!!

وعندما بدأت الطائرة تحلق فوق أرض المطار لمحنا عن بعيد أضواء حمراء تدور فوق أسطح سيارات منتظرة على جانب المدرج، لم يكن من الصعب أن نفهم أن هذه سيارات

الإسعاف ، والطائرة ، والتي تنتظر هبوطنا الإضطراري .

وأخذت الطائرة تميل إلى الأمام ، لتفقد ارتفاعها ، والجميع كل منهم مشغول بإعداد التوافه لترتب اللحظة الحاسمة التي تلمس فيها الطائرة أرض المطار ، وعندها لا يعلم سوى الله وحده ماسوف يكون عليه مصيرنا ..

ومرت اللحظات طويلة قاتلة ، وهكذا دائما لحظات الخطر تمضي بأبطأ ما يريد له الإنسان .

وحانت اللحظة المرتقبة ، وأخذ كل واحد منا يتمسك في مقعده ، ويضاعف من الصلاة به ، وكأنه على ظهر جواد جامح تشبث الراكب في عنانه حتى يوقفه ، فإذا هو يزيده جموحا ..!!

ولست أدري كم مرة قرأ الركاب آيات من الكتاب المقدس ، ولكن الذي أعلمه أنني لم أنقطع عن قراءة الفاتحة منذ اللحظة التي استمعت فيها إلى قائد الطائرة ، وحتى اللحظة التي اوشكت فيها الطائرة أن تلمس الأرض .

وهبطت الطائرة ، فإذا هي تجري على عجلاتها في أمان ، وإذا الهبوط سهلا ليننا كأحسن ما يكون عليه هبوط الطائرات ..

وعاد إلينا صوت القائد يقول :

- معذرة أيها السادة .. فسيدة أن العطل كان في الضوء الأخضر ، الذي ظل مضيئا أمامي ، علامة على أن العجلات لم تنزل ، بينما هي قد نزلت بالفعل ..!!

وعاد الركاب ينظرون إلى بعضهم البعض من جديد ،

وكلنهم كانوا في هذه المرة يضحكون ضحكات هستيرية ، لا معنى لها ولا محل .

وهبطت بنا الطائرة إلى أرض مطار واشنطن ، لأجد في انتظاري السيد / متكالف الموظف بوزارة الخارجية الأمريكية والمسئول عن الزائرين القادمين من الشرق الأوسط ..

ومد الرجل يده لي مبيا ومرحبا ، وهو يسألني في رقة وبشاشة إذا كنت قد نعمت برحلة موفقة إلى العاصمة الأمريكية ..

وتبينت على الفور أن الرجل لم يكن يعلم بالأهوال التي صادفتني في رحلتي ، لذلك فلم أشأ أن أقف عليه سخريته ، وبشاشته ، واكتفيت بأن وضعت على شفتي ابتسامة لا تقارن بسوء الابتسامة المرسومة في الإعلانات عن معجون الأسنان ، وانطلقت أروي له كيف كانت الرحلة ممتعة ، وكيف كان منظر نيويورك من الطائرة إنها بمبانيها الشاهقة التي تلمع في ظلام الليل وكأنها أعمدة من النور مزروعة وسط السواد ..!!

وصحبني السيد / متكالف إلى الفندق الذي سأقيم فيه وتناول معي غدائي من القهوة بينما هو يسألني إذا كنت أحب أن أناقش معه برنامج اليوم ، أم أنني أفضل أن أترك ذلك إلى الصباح .

وأجبت دون تردد :

- بل نتركه إلى الصباح ..!!

مدينة بلا ناطحات سحاب ..!!

أمضيت أسبوعين في واشنطن العاصمة ، في زيارات متصلة لعدد من موظفي وزارة الخارجية ، والسفارة العربية ، وبعض الأصدقاء من الأمريكيين الذين لم تنقطع صلتي بهم ، منذ التقينا أثناء زياراتهم للبلاد ..

وكان في مقدمة هؤلاء الأصدقاء السفير ميلتون ياغ عضو مجلس الشيوخ الأمريكي ، وأحد الأقطاب الجمهوريين في لجنة الإعتمادات والميزانية ..

وقد لقيته لأول مرة في أسوان - وقبل عامين من زيارتي للبلاد - وتم تبادل الرسائل في الأعياد والمناسبات ، ولم تخلو أي من رسائله من الإشارة إلى أنه ينتظر بفارغ الصبر إلى واشنطن لتلعب معا مباراة في الجولف ، وهي الرياضة التي تستأثر بمعظم وقت فراغه ، ويحرص على أن يزاولها في كل بلد يزوره من بلاد العالم ، وكأنه أحد هواة طوابع البريد ، يجمع من كل بلد بعض طوابعه ..

وما أن علم السفير ياغ بوصولي إلى واشنطن ، حتى كلف سكرتيرته الحسناء - بات - أن تتصل بي في الفندق وتبلغني أن السفير قد حدد لي موعدا لمقابلته في مكتبه في مجلس الشيوخ ، وأنه يطلب مني أن لا أرتبط بأية مواعيد أخرى في ذلك اليوم ، فإنني سوف أمضي

اليوم وطوله معه في مبنى مجلس الشيوخ.

وكانت بات ، واسطة الأهلي باتريشيا ، قد زارت مصر من قبل وجاءت مع السائح إلى أسوان.

~~[illegible]~~

ورحبت بالدعوة ، فأنا مشوقة إلى رؤية مجلس الشيوخ الأمريكي صاحب الكلمة العليا في سياسة الولايات المتحدة ، والذي يحتل أعلى مكانة نيابية.

وعبرت شوارع واشنطن الفسيحة ، التي غرست الأشجار على جانبيها وقد اكتست بطبقة رقيقة من الثلوج ، زادت من جمالها .. وجلالها.

وعندما اقتربت على مبنى مجلس الشيوخ ، رأيت القبة الشهيرة تتوسط مبانيا فسيحا ، وتحيط بها بعض الأبنية الحديثة ، وكلها تأخذ في شكلها الخارجي ~~[illegible]~~ طراز العمارة الرئيسي الذي تتوسطه القبة الكبيرة.

ودخلت ~~[illegible]~~ بيتاع السائح ياغ في مبنى مجلس الشيوخ الجديد ، فاستقبلني على باب حجرته التي تجلس بات على مقربة منه وكأنها جارسة أمير لا تنزل عيناه عن صاحبه.

ولفت نظري ~~[illegible]~~ العدد الهائل من الصور المعلقة على

جهزا له غرفة المكتب ، وكان الرجال من اعضاء الكونجرس ، بعضهم عرفته للوهلة الأولى ، وبعضهم لم أكن قد سمعت عنهم.

كانت هناك صور لأقطاب الحزبين الكبيرين والوحيدين في الولايات المتحدة ، الحزب الجمهوري المعارض ، والحزب الديموقراطي الحاكم .

وتبينت من هذه الصور ، ابراهام لنكولن ، وتيودور روزفلت ، وجون كينيدي ، وهيوبرت همفري .. والمزيد والمزيد ..!!

واستغرقت ~~جلستي~~ جلستي مع السفير بابا ~~[illegible]~~ الصباح بطوله ، وتحدثنا خلالها في كل شيء ، من أول مباراة الجولف التي تواعدنا عليها ، إلى حرب فيتنام ، والنفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة .

وسألني السفير :

- هل أعجبتك واشنطن ..؟

قلت على الفور - رغم أنني لم أكن قد أمضيت فيها سوى بضعة أيام -

- أنها من أجمل المدن التي زرتها ، ومن أكثرها وقارا ، ولكنني لا أفهم السبب في أن واشنطن - على الرغم من أنها عاصمة البلاد - ليس فيها ناطحة سحاب واحدة ..!؟

وضحك السفير وهو يجيب

- إن السبب في ذلك يرجع إلى ~~[illegible]~~ زمن بعيد ، عندما تقرر أن يختار هذه

المدينة لتكون عاصمة للإتحاد ، وأقيم فيها مبنى مجلس الشيوخ ، وهو يوحي جيدا بأنه لا يرتفع اى مبنى بأكثر من ارتفاع قبة مجلس الشيوخ ، كرمز - مجرد رمز - إلى أن كلمة الشعب ، الذى يمثله هذا المجلس ، هى اعلى كلمة فى البلاد .

~~ويظل~~ وظل هذا الطائر على حاله ، لم يتناوله التغيير كغيره من العواصم التى وضعت فى ذلك العهد .

* * *

~~وضعها مبنى حاجز~~

هذا موعد الغداء ، ولازال الحديث ممتعا ، تتطرق بنا إلى موضوعات جادة احيانا ، وفى احيان اخرى يميد بنا إلى جو مرح ساخر ، إلى أن نظر الطائر ياتج فى ساعته ، فى اثناء اللحظة التى دخلت علينا فيها بانت لتقول له فى رقة :

- إذا أردت أن تدعو ضيفك إلى الغداء ~~فعليك أن تختار طعاما~~ ، فينبغى أن تأخذه الآن إلى قاعة الطعام قبل أن ~~يزدحم~~ يلتزم الآخرون كل حانب..

ووضع الطائر ذراعه فى ذراعى وصعدنا إلى أسفل المبنى ، حيث رأيت تطارا صغيرا واقفا وإلى أن اركبه معه ..

وعرفت فيما بعد أن هذا القطار الكهربائي يربط مباني مجلس الشيوخ ببعض ، ويجري من تحته خطوط متصدرة لتنقل الأعضاء والموظفين إلى قاعات الجلسات واللجان ، بدلا من أن يضيعوا وقتهم في وسط زحمة الطرق الموصلة لمباني الكونجرس ..!!

وفي قاعة الطعام كان عدد من أصدقاء السناتور بايج في انتظارنا ، وكان السناتور قد دعاهم ليقدمني اليهم ، واختار أن يكون اللقاء في قاعة الطعام الملحقة بمبنى مجلس الشيوخ .

وكان بين المدعوين صديق حميم للسناتور بايج هو الجنرال وليم كاسدن قائد سلاح المهندسين في الجيش الأمريكي ..

وكان الجنرال كاسدن ، هو الوحيد من بين المدعوين ، الذي يرتدي ~~ملابس~~ الملابس العسكرية ، ويعلق على صدره علامات الأوسمة والنياشين ..

وكان حديثه يختلف عن كل الحاضرين ، فيه شيء كثير من التحفظ .. وشيء قليل من الحدة ..

وكان رجل يتكلم بحساب .. ويبتسم بحساب .. وإذا اقتضى الأمر فإنه يصمت بحساب ..!!

ولكنه لفت بالجنرال كاسدن كان لقاءا مفيدا ، خصوصا وأن سلاح المهندسين في الجيش الأمريكي هو

الذى تقوم بنباء السدود وتشغيل فى النصف الشرقى من الولايات المتحدة .

وبعد الانتهاء من الطعام ، أخذ بن الساتور ياغ إلى القاعة الرئيسية لمجلس الشيوخ - أثناء الفقاره - وجلس إلى جوارى فى مقاعد الزوار .

كان المستر هيوبرت همفرى نائب الرئيس الامريكى يرأس الجلسة ، فهو بحكم الدستور رئيس مجلس الشيوخ ، وكان صوت احد الأعضاء يدوى بين جنبات القاعة وهو يتحدث بحماس بالغ عن امور تتصل بحرب فيتنام .

ولكنه الذى لفت نظرى فى القاعة الفسيحة التى تتسع لأكثر من مائة عضو ، لم يكن يجلس فيها أكثر من عشرين منهم ، ومع ذلك فقد كان الشيخ الذى يتحدث يمثلنا بالحماس كما لو كان يخطب فى اجتماع عام تشهده الآلاف .

ولعل الساتور ياغ قد فهم ما كنت أفكر فيه ، فأخذ يشرح لى أن العمل الحقيقى للمجلس يدور داخل قاعات اللجان الفرعية ، أما هنا فى القاعة الرئيسية ، فإن معظم المتحدثين يتكلمون للتاريخ .. ولصيانة المجلس ..!!

ولكى يؤكد لى ذلك ، اخذنى إلى قاعة اجتماعات لجنة العلاقات الخارجية ، التى كانت تناقش هى الأخرى

مستشار ميشام ، في جلسة يرأسها السفير وليم فولبرايت ،
ويشهدها المستر وين راسك وزير الخارجية ، ليرد على اسئلة
الاعضاء ، وفي مقدمتهم الشيخ.. الشاب.. روبرت كيندي
شقيق الرئيس الأمريكي الراحل .

كان جو القاعة ممتلئا بالحيوية والإثارة ، على
خلاف الجو في قاعة المجلس الرئيسية ، التي تذكرك
بمجالس الشعب عند الاغريق ..

واجتماعات لجنة الشئون الخارجية ، لا يحتاج
حضورها إلى دعوة ، أو تصريح ، فلك اي واحد من
ابناء الشعب الأمريكي له الحق - في اي وقت - أن
يدخل إلى قاعة الإجتماع ليتابع مايدور
فيها ، مادام محافظا على الهدوء والنظام .

والقاعة متوسطة الإتساع ، ولكنها تضم تقريبا
كل ما تحتاجه آلات التصوير التليفزيوني والسينمائي ، وعدد
كبير من الصحفيين الأمريكيين ، والمراسلين الأجانب .

وعند ابتداء الجلسة ، توجهت إلى مبنى مكتبة مجلس
الشيوخ ، وأمضيت بقية اليوم في قراءة متصلة ، أطول
بها انهم الاسلوب الأمريكي .. في ممارسة الديموقراطية ..!!

أضواء على الدستور

سوف احتفظ برأيي في الأسلوب الأمريكي لممارسة الديموقراطية ، إلى نهاية هذا الفصل ، حيث أفرغ من القاء نظره على المبادئ العامة في دستور الولايات المتحدة ، وتنظيم السلطات فيه ، ثم أبدأ في تقييم هذه التجربة - من وجهة نظري - بعد أن يكون القارئ قد اصبح هو الآخر على دراية من الصورة بحيث يستطيع ان يحكم [illegible] على التجربة بما لها ، وما عليها ..

فالولايات المتحدة الأمريكية - كما يشير إلى ذلك اسمها - هي دولة اتحادية تتكون من واحد وخمسين ولاية ، تشكل فيما بينها اتحادا فيدراليا ، [illegible] ويبين دستورها سلطات ومبادئ نشاطها.

أما حكومات الولايات ، فلها نواح اخرى من النشاط ، ولها هي الأخرى دساتير خاصة بها ، وقوانين تطبق في كل منها على حده.

ويجري بطريقه التصويت العام انتخاب اعضاء البرلمان ، ورئيس الجمهورية ، وحكام الولايات والمدن والمدن.

ويتولى رئيس الجمهورية تعيين الوزراء ، أما القضاة فيجري اختيارهم عن طريق الانتخاب المباشر .. او يتولى الموظفون المنتخبون تعيينهم ..

وعندما وضع الدستور في عام ١٧٨٧ كان هناك ثلاث عشرة ولاية فقط ، وكانوا واضعوا الدستور يتوقعون أن تتناول له

على مر الأيام تعديلات تدعو الحاجة اليه ، فنصوا فيه على وسائل تعديله . وقد ادخل عليه على مر السنين ٢٤ تعديلا ، فأصبح نظام الحكم الذى وضع منذ زهاء بضع وثلاث عشرة ولاية ، وافيا اليوم بحاجة واحد وخمسين ولاية ، وشعب تضاعف عدده اكثر من ٤٥ مرة .

ويكفل الدستور حقوق الأفراد وحرياتهم ، وقد نص عليها فى التعديلات العشرة الأولى ، التى تؤلف « وثيقة الحقوق » الملحقة بالدستور فى عام ١٧٩١ . وهى تتضمن حرية القول ، وحرية الصحافة ، وحرية العبادة ، وحرية الإجتماعات السلمية ، وحرمة المنازل ضد التفتيش بغير موجب ، أو الحجز على الشخص او الممتلكات بغير اقتضاء ، وحمد كل متهم فى المحاكمة العربية امام هيئة من المحلفين .

ويقسم الدستور السلطات التى تتألف منها الحكومة إلى ثلاث فروع : التنفيذية ويرأسها رئيس الجمهورية ، والتشريعية التى تتألف من الكونجرس بمجلسيه : الشيوخ والنواب ، والقضائية وعلى رأسها المحكمة العليا . وقد رسم الدستور حدود كل سلطة منها ، وهو يجعل كلا منها عضاء واحدة منها على سلطات الأخرى .

من ذلك أن الدستور يعطى الكونجرس حق تشريع القوانين اللازمة التى تقتضيها مصلحة الدفاع الوطنى ، إلى جانب القوانين المتصلة بالمسائل الإجتماعية والأشغال العامة والرعاية الإقتصادية وشئون العمال .

ويحق للمحكمة العليا ، إذا تبينت أن أحد هذه القوانين التى اقرها البرلمان وأصدرها رئيس الجمهورية ، تخالف احكام

الدستور ، أنه تحكم بقانون ...

ويقوم نظام الحكم في جميع نواحيه على مبادئ واحدة ، ويؤمن الشعب بأنه من واجب الحكومة أن تضع له إطارا من القوانين والنظم فيما يتعلق بشئونه الخاصة بغير قيود.

وحكومات الولايات ، شأنها شأن الحكومة الاتحادية ، تقوم على رأسها حاكم هو الرئيس التنفيذي للولاية ، وهيئة تشمل السلطات الثلاث .. وتقوم الحكومات في الولايات بإدارة شئون التعليم العالي والحكومي ، وبناء الطرق ، من حيث تتولى الحكومة الاتحادية الشئون القومية والدولية ، والمسائل التي تتصل بأكثر من ولاية واحدة.

وتتولى البوليس في الولايات تنفيذ القوانين المتعلقة بحياة المواطنين اليومية ، بينما يقوم مكتب المباحث الجنائية الاتحادي بتعقب المجرمين الذين يفرون من ولاية إلى أخرى ، او يخالفون قوانين الاتحاد.

وينتخب رئيس الجمهورية عن طريق التصويت العام ، ومدة ولايته اربع سنوات ، ويمكنه اعادة انتخابه لمدة أخرى . ويشترط فيه أن يكون مواطنا امريكيا من مواليد البلاد ولا تقل سنه عن ٣٥ عاما . ويتقاضى مرتبا قدره ١٠٠ ألف دولار في السنة ، وبالاضافة الى مبلغ ٥٠ الف دولار للمصروفات ، وكلا المبلغين خاضع للضرائب .. كما يتقاضى ٤ ألف دولار اضافية غير خاضعة للضرائب ، في مقابل نفقات السفر والمآدب الرسمية التي يقيمها ، ويقدم له قصر هذا مكانا مجانيا

هـ - السيد الأبيض ..

ورئيس الجمهورية - بوصفه رئيس السلطة التنفيذية - تنفيذ مشروعات الحكومة وبإشرة سلطاتها ، وهو يوصي الكونجرس بسن القوانين ، ويطلب الاعتمادات المالية اللازمة لتنفيذ مشروعات الحكومة الاتحادية ، ويعين القضاة ، والسفراء ، ورؤساء المصالح الحكومية .

وفي حالة امتناع رئيس الدولة عن توقيع قانون أقره البرلمان ، فإنه يعود فيعرض على الكونجرس ، فإذا عاد لإقراره أعلبية ثلثي أعضاء مجلسيه ، صدر واصبح نافذا على الرغم من معارضة رئيس الجمهورية ..

وتعاون رئيس الولايات المتحدة عشرة ادارات تنفيذية ، يؤلف رؤساؤها معا ما يسمى « مجلس الوزراء » ، ويتولى الرئيس تعيينهم بموافقة مجلس الشيوخ .

وتقوم وزارة الخارجية - أو ادارة الدولة كما يسمونها - بمهمة المشاورة لرئيس الجمهورية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية . وتتولى هذه الوزارة أمر العلاقات مع الدول الأخرى ، وتصدر جوازات السفر وتأشيرات الدخول .

وتتولى وزارة المالية شئون الحكومة المالية ، ومن اختصاصها جباية الضرائب ، وسك العملة وطبع اوراق المالية ، كما تشرف على قوة خفر السواحل لحراسة الشواطئ ومنع تهريب البضائع إلى داخل البلاد وعند استيفاء الرسوم الجمركية عليها .

وتسهر وزارة الدفاع على حماية الدولة وأمنها . ويعاونه

وشيوخها (وزراء) للجيش .. والأسطول .. والصيدلة ..

ويرأس النائب العام وزارة العدل .. !! فهو يمثل الولايات المتحدة في المسائل القضائية ، ويشرف على توجيه الاتهام في قضايا الاعتداء على القوانين الاتحادية ، وعلى مكتب المباحث الجنائية الاتحادي والسجون .

وتقوم وزارة البريد بجمع البريد وتوزيعه ، واصدار الطوابع ، وتشرف على آلاف من مكاتب البريد في انحاء البلاد .

وتتولى وزارة الشئون الداخلية حماية الموارد الطبيعية وتعمل على تنميتها ، وتشرف على المتنزهات والحدائق العامة ، كما تنفذ القوانين الاتحادية التي تنظم شئون الصيد ، وتضع التدابير اللازمة لحماية المناجم .. وتشرف على شئون قبائل الهنود الحمر .. !!

وتعنى وزارة الزراعة بشئون انتاج الاغذية ورعاية شئون المزارعين . وتضع التقارير عن حالة التموين والمحاصيل الزراعية ، وتجري البحوث العلمية الزراعية ، وتمنح القروض لتنفيذ المشروعات الكهربائية في الريف وتمد منظم المزارع بالطاقة الكهربائية .

وتختص وزارة العمل بشئون العمال ، وتتولى تنفيذ القوانين الخاصة بالحد الأدنى للأجور ، والحد الأعلى لساعات العمل للعمال الذين يزاولون الصناعات داخل الولاية ، أو انتاج البضائع التي تصدر إلى خارج الولاية . كما تقوم بالمساعدة في الوساطة

والمصالحة لتحكيم العمال عند التوصل إلى حلول للمنازعات التي تقوم بينهم وبين أرباب العمل .

وتتولى وزارة التجارة تشجيع التجارة الداخلية ، والإشراف على التجارة الخارجية ، وعلى الأخص في حقول النقدية والصناعات والنقل العام . كما أنه لها فروع كثيرة ، يتولى احدها اصدار براءات الإختراع ، ويقوم فرع آخر بفحص المنتجات للتأكد من مطابقتها للمستويات المطلوبة ، من حيث يعد فرع ثالث التقارير عن الأحوال الجوية .. !!

وتقوم وزارة الصحة والتعليم والرفاهية ، بإدارة برنامج الضمان الإجتماعي ، وتضم هذه الوزارة أيضا مكاتب الصحة العامة ، ومصلحة التربية الأمريكية .

وإلى جانب هذه الإدارات التنفيذية الكبرى ، أو الوزارات كما تسمى عادة ، تقوم عدة وكالات مستقلة . عن بنائ وديوان الموظفين المدنيين الذي يشرف على تنظيم العمل في خدمة الحكومة ، ووكالة الطيران الاتحادية المسئولة عن تنظيم النقل الجوي ، وتأمين سلامته . ووكالة الطاقة الذرية التي تشرف على ادارة استخدام الطاقة الذرية في المجالات الصناعية ، والزراعية ، والطبية . وهناك ايضا إدارة الطيران والفضاء الأهلية ، ووكالة المعلومات الأمريكية بما لها من مكتبات ومكاتب اعلام في معظم بلاد العالم ..

* * *

وتتألف السلطة التشريعية ، الكونجرس ، من مجلس الشيوخ والنواب اللذين يضمان اكثر من ٥٠٠ عضوا يتقاضى الواحد منهم

٢٢ ألفا وخمسمائة دولار سنويا . وينتخب الشيخ لمدة ستة سنوات ، أما مدة عضوية النائب فهي سنتان . ويمكن اعادة انتخاب الشيخ أو النائب لأكثر من مدة واحدة .

ويمثل كل واحدة من الولايات الأمريكية شيخان ، ويتجدد انتخاب ثلث اعضاء الشيوخ مرة كل سنتين .. ويشترط في الشيخ عند الانتخاب أن يكون قد تخطى الثلاثين من عمره وأن يكون قد مضى عليه كمواطن امريكي تسع سنوات على الأقل .

ويضم مجلس النواب أكثر من ٤٠٠ عضوا . ويشترط أن تكون سن النائب عند الترشيح أكثر من ٢٥ سنة ، وأن تكون مدة اقامته في امريكا كمواطن سبع سنوات على الأقل .

ولابد من موافقة المجلسين - كليهما - على اى تشريع قبل أن يصبح قانونا ، بينما يتمتع مجلس الشيوخ وحده بحق الموافقة على تعيين الموظفين الذين يختارهم رئيس الجمهورية ، وله وحده ايضا الحق في التصديق على المعاهدات التي يعقدها الرئيس مع الدول الأخرى ...

والسلطة القضائية تشرف عليها المحكمة العليا المؤلفة من كبير القضاة يعاونه ثمانية من القضاة . ويشمل اختصاص جميع القضايا التي تحتاج إلى تفسير الدستور ، حيث تحال إليها هذه القضايا من قبل المحاكم الأقل درجة . كما تحكم المحكمة العليا في القضايا التي تدخل الحكومة فيها كطرف خصومة ، أو القضايا التي تتصل بنزاع بين

ولا تتبع أو أكثر ، أو بعبارة أخرى من الولايات المختلفة .

أما المحاكم الابتدائية الأقل درجة ، فهي المراكز التي تنظر في جميع القضايا المدنية ، وقضايا المخالفات . ويعين قضاة جميع المحاكم الابتدائية في وظائفهم مدى الحياة ، ولا يمكن عزلهم من مناصبهم إلا لسوء السلوك ، ويكون ذلك بعد محاكمة تتولاها مجلس الشيوخ .

~~ويبلغ معدل ما تنفقه الدولة في العام على الفرد الواحد ٧٠٠~~

ويذهب نحو ثلاثة أرباع الضرائب التي تجبى من الولايات المتحدة ، إلى الحكومة الإتحادية . وتزود ضرائب الدخل خزانة الحكومة الإتحادية بنحو نصف إيراداتها . ويدفع الفرد من ذوي الدخل المتوسط ١٠ في المائة من دخله للحكومة ، في حين تتصاعد نسبة الضرائب بحيث تصل عند ذوي الإيرادات الكبيرة إلى ٩١ في المائة من دخلهم .

وتفرض كثير من الولايات على سكانها ضرائب دخل خاصة بها ، كما أنها تفرض ضرائب أخرى على المقتنيات ، والسيارات ، ووسائل الترفيه ..

ويبلغ معدل ما تنفقه الدولة في العام على الفرد الواحد ٧٠٠ دولار ، ليستفيد من ذلك الرجال ، والنساء ، والأطفال ..

ومنذ عام ١٩٥٥ ، ينفق نحو ثلثي مصروفات الحكومة الإتحادية على التسليح .. !! ويوزع الباقي على مشروعات الخدمة الإجتماعية ، وتنمية الموارد المائية ، واصلاح الأراضي ، والصحة

العامه ، والتعليم .

وبسبب المبالغ الطائله التى انفقتها الحكومة فى شئون التعليم ارتفعت قيمة الدين الأهلى ارتفاعا كبيرا ، منذ الحرب العالميه الثانيه .

* * *

هذه هى بعض الأضواء التى أردت أن
اسلط على دستور الولايات المتحده ، ونظام الحكومة
فيه ، وتكييف سلطات الرئيس ..

واوضح ما تشير اليه هذه الأضواء أن رئيس
الجمهوريه هناك ، هو رئيس الدولة فى سياستها الخارجيه ، غير
أن سلطاته - فى هذا الميدان - ليست بلا حدود ،
فالإلتزامات التى يتعهد بها قابلة لإعادة النظر فيها من جانب مجلس
الشيوخ ، الذى يمارس ايضا سلطة الرقابه على صرف الاعتمادات
المالية ..

وسياسة امريكا الخارجيه جائره مع الرأى العام
هناك ، فهى تارة تتبعه ، وطورا تتقدمه زمام قيادته ..!!
والرأى العام نفسه جائر بين رجال السياسة بكل ما يحملونه
من الميول المختلفه ، وبين رجال المال ، بكل ما يجرى بين أيديهم
من الملايين ..

ووراء هذا كله اجهزة ضخمه للدعايه تقدم من يرفع أعلى ثمن ..!!

حملنى القطار من واشنطن العاصمة ، إلى مدينة بوسطن ، التى تعتبر واحدة من أكبر مدن الساحل الشرقى .. وعاصمة ولاية ماسيوستس التى كان يمثلها فى مجلس الشيوخ الأمريكى ، الرئيس الراحل جون كيندى ، ومن بعده شقيقه الأصغر ادوارد ..

وفتح باب احدى السيارات الأجرة ، الواقفة عند البوابة مواجهة بوسطن ، وطلبت من سائقها أن يحملنى إلى فندق (شاريتون) حيث تقرر أن أقيم خلال زيارتى للمدينة .

واستدار السائق ناحية المقعد الخلفى الذى كنت اجلس عليه ، ولم يكد من الصعب أن يتبين اننى لست مواطنا امريكيا ، فقد كنت أتكلم الانجليزية - من وجهة نظره - بلهجة تختلف عن أهل البلاد ..

وعلى الرغم من أن الشعب الأمريكى تتكلم اللغة الإنجليزية ، إلا أنه قد طور هذه اللغة ، وأدخل عليها من المصطلحات والتعبيرات ما جعلها تكاد تكون لغة مستقلة يطلقون عليها هكذا اسم (الانجليزى - الامريكى ...!!)

وأصبح ما على الأجنبى أن هذه اللغة الجديدة قد اصبحت تخضع للمميزات المحلية التى تختلف من ولاية إلى ولاية ، بحيث تصعب متابعتها على من لم يتعود سماعها ، ومن لم يألف أن

يستمع إلى حديث يتطلع لسرعة الطائرات النفاثة ، وتخلق من خياله نصف الكلمات ..

وسألني سائق السيارة ، وهو ينظر إلى الطريق الممتد أمامه

- من أي البلاد جئت يا سيدي ..؟

قلت باسما :

- من بعيد .. من مصر ..

واستدار السائق مرة اخرى متطلعا إلى المقعد الخلفي الذي اجلس عليه ، وظلت عيناه لبضع لحظات تحدق في وجهي ، وكأنما فاقدني أنه يقيم بيديه عجلة القيادة ، وأنه يتباهى بنا طريقا مزدحما بالسيارات الذاهبة ، والقادمة من كل اتجاه ، وهز رأسه متعجبا

وقال ولازالت علامات الدهشة مرتسمة على وجهه :

- إذن فأنت من مصر ..

قلت

- نعم .. أنا من هناك ..

وعاد الرجل ينظر إلى وجهي كمن وقع على كنز ، قبل أن يستطرد :

- بالله عليك أن تقول لي الحقيقة .. ماذا يجري هناك في البلاد المجاورة لكم ..؟

قلت :

- اي بلاد تقصد ..؟

قال :

- فى فيتنام .. !!

وظننت أنه الرجل لم يسمع جيدا ما قلته له عندما ذكرت له أننى قد جئت من مصر ، ولكنه لم يسمح لهذا الوهم أن يتملكنى ، فإذا به يقول :

- أننى اعلم أنه مصر تجاور فيتنام .. وأنتم بذلك أقدر على معرفة الحقيقة منا نحن هنا فى الولايات المتحدة .. !!

ولم أصدق نفسى ، ولم أستطع أنه أفهم كيف يمكن لمواطن فى احدى أكبر دول العالم ، يعيش وسط هذه الأجهزة الضخمة للإعلام ... وفى متناول يده من مئات من الصحف ... وعشرات من محطات الإذاعة والتليفزيون ، كيف يمكن لهذا المواطن أنه يخلط بين مصر وفيتنام ، وأنه يتصور أنها البلدين متجاورين ... !!

ونبع لى هذا السؤال الساذج ، الذى أعلمه من فم صاحبه فى براءة وبساطة ، أنها جديرة أن حاولت أنه استكشف أطوال زيارتى للولايات المتحدة ..

وكان السؤال الذى حاولت دائما أنه أجد الجواب عليه هو :

- اين تقف المواطن الأمريكى .. من اجهزة الدعاية والإعلام المحيطة به من كل جانب ..؟

ولقد ما كانت دهشتى عندما لاحظت أنه

عدداً كبيراً من المواطنين الأمريكيين لا تزيد حصيلتهم من المعلومات العامة ، عن حصيلة سائق التاكسي الذي حملني من محطة بوسطن ، إلى فندق (شاريتون) القائم في وسط المدينة .

ولقد ابديت اهتمامي بهذه الظاهرة ، إلى عدد من الاصدقاء الأمريكيين ، الذين التقيت بهم طوال إقامتي في بلادهم ، واستمعت إلى آراء عديدة ، بعضها مجرد ذاتي .. والبعض الآخر دراسة موضوعية تحاول أن تفسر ، وتعالج هذه الظاهرة أو تميز

ويمكن أن تعود اسباب هذه الظاهرة إلى العوامل التالية الآتية :

اولا : ان الشعب الأمريكي هو خليط من شعوب عديدة ، جاءت إلى هذه البلاد لإعتبارات تختلف في اسبابها ، وتتفق في اهدافها ..

فلقد سارت اوربا - بعد اكتشاف القارة الامريكية -